صعود الاسلام الاصولي في صورة حماس في السلطة الفلسطينية لا يقل خطورة عن وجود قنبلة غير تقليدية بعيدة

■ في الوقت الذي ننشغل فيه بتعجيل قدرة ايران على الوصول الى سلاح ذري، ينشأ تهديد غير تقليدي عند مداخل دولة اسرائيل، بطرق تقليدية تماما. إن صعود الاسلام الاصولي، في صورة حماس في السلطة الفلسطينية، يجب أن يقض مضاجعنا على نحو لا يقل عن وجود قنبلة غير تقليدية بعيدة. الجو متشابه، والتعبيرات متماثلة: رئيس ايران، أحمدي نجاد، يطلب علنا، محو اسرائيل من الخريطة. ورئيس الحكومة الفلسطيني المستقبلي، اسماعيل هنية، يدعو الى الاستمرار في خطة المراحل للقضاء على دولة اسرائيل. إن ما بدأ ككراهية اسرائيل في ايران، «الشيطان الأصغر»، وأصبح معاداة للسامية شاملة، أصبح يوجد اليوم في برنامج حماس ـ في «مثل اليهودي الأخير» (الذي يطلب قتل آخر اليهود).

ان خلفية صعود هذه النظم متشابهة هي ايضا. كان ذلك في ايران بسبب سلطة الشاه الفاسدة، وهنا بسبب سلطة فتح الفاسدة. ليست النتيجة في المجال الاجتماعي ـ الاقتصادي فحسب، بل هي تهديد أمني ـ سياسي ايضا وفي الأساس.

إن ظهور جيوب ايرانية حول اسرائيل، في لبنان، وفي السلطة الفلسطينية، بل داخل اسرائيل في القدس، يتصل اتصالا وثيقا بوهمين: الاول، سياسة الانسحاب الاسرائيلية. الانسحاب الأحادي في جميع الجبهات لاسرائيل أفضى الى تقوية المنظمات الارهابية والقوى الاسلامية الغالية، التي رأت بذلك تصديقا لنجاح اعمالها الارهابية. والثاني، وهم أن اندماج القوى الارهابية في المستوى السياسي سيُعدل من قوتها وعدائها. نعرف اليوم أن اندماج القوى الاسلامية والارهابية في الاجراءات الديمقراطية لا يُعدلها، بل يزيد قوتها ويفضي الى سيطرتها.

هذا ما حدث ايضا باندماج حزب الله في البرلمان اللبناني وفي الحكومة بعد ذلك، من غير أن يتخلى عن سبيل الارهاب وعن سلاحه. فليس عجبا أن الولايات المتحدة وبريطانيا، اللتين ضبطتا النفس في تضييقهما على اسرائيل لكي تُجرى الانتخابات في السلطة بأي ثمن، لم يخطر في بالهما اقامة انتخابات في افغانستان مع طالبان أو مع القاعدة، لكي يزدادا اعتدالا بالطبع. هزم الارهاب الديمقراطية. وهزم الاسلام الغالي المعتدلين. هذا ما حدث في ايران الأم، ويحدث الآن في الجيب الايراني ـ حماس.

ليس الاخفاق في المستوى الأمني، الذي أنذر قبل الانسحاب (رئيس هيئة الاركان بوغي يعلون ورئيس «الشاباك» آفي ديختر) بالأخطار التي تحققت. استمر المستوى السياسي في الاخفاق، واليوم، على وجه لا يبث الثقة، يحاول أن يطلب الى العالم تجنيد ائتلاف مقاوم لحماس. وهو ائتلاف لم ينجح في الحصول عليه داخل حكومة اسرائيل، عندما كان يجب عليه أن يحسم سؤال مشاركة حماس في الانتخابات.

في الواقع الحالي، لسنا متأكدين من شأن أي التهديدين أكبر: تطوير قنبلة نووية في ايران، أم وجود جيوب ايرانية لدى مداخل دولة اسرائيل. كما هي الحال في عملية جراحية لإزالة ورم سرطاني، حتى اذا ما اقتُلع الورم، فان لواحقه لن تزال قادرة على الاستمرار في العمل.

ليمور سميميان دراش
تُحضر لشهادة الدكتوراة في الجامعة العبرية
(معاريف) 2006/1/30

عدم وصول الاموال الدولية لخزينة السلطة ستصيب المواطن الفلسطيني في صميم حياته

المشاكل التي ستواجه حركة حماس في تشكيل حكومة جديدة تتمثل قبل كل شيء في الطريقة التي ستتعامل بها مع الواقع

فلسطينية تمر من امام مصرف في غزة

■ «لا شيء يدفع الى مثل هذا الخوف.. فقد يتمخض عن هذا شيء جيد» هكذا يعلق السيد حنا سنيورة من القدس الشرقية، وهو أحد الشخصيات الوطنية المعروفة، ومحسوب كمؤيد لحركة فتح ومن الذين لم يحالفهم الحظ ولم يفز في الانتخابات التشريعية الأخيرة. وحسب رأيه فانه لا خوف من اندلاع حرب اهلية على خلفية الانتخابات التشريعية الاخيرة. وهو يأمل ان يفهم جميع رؤساء وقادة الاجهزة الأمنية وموظفي الوزارات الفلسطينية أنهم يعملون لخدمة الجمهور فقط، وانه لا بد من ان يستجيبوا ويتعاونوا مع الحكومة التي ستشكلها حركة حماس. بل إنه كغيره من الفلسطينيين يفتخر بقدرة الفلسطينيين على القيام بعملية «تغيير» ونقل السلطة بصورة ديمقراطية ودون اللجوء الى العنف. وطالما ترددت اصوات في اسرائيل (طوال فترة ليست قصيرة) تقول أن اسرائيل لا تريد التحدث مع ابو مازن «لانه ضعيف» ولان حماس هي التي تسيطر على الشارع الفلسطيني، والان، فما الذي يمنع من التحدث مع حماس مباشرة «لانها القوية» ـ هكذا يقولون.

من الصعب جدا ان نعرف الان ما اذا كانت هذه العبارات والكلمات تعكس حقيقة المزاج السائد في الضفة الغربية وقطاع غزة. وان أفكارا مماثلة يمكن الاستماع اليها في المناطق في هذه الايام. فوسائل الاعلام المحلية والعربية والعالمية أجرت خلال الايام القليلة الماضية مئات المقابلات والتسجيلات مع مواطنين فلسطينيين ابتداء من رفح في غزة وحتى تصل الى جنين في الضفة الغربية. والكل يقول لك «ان فوز حماس كان ممكنا ومتوقعا»، ويقولون إن رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس «ضعيف» ولا يوجد من يقف بحزم ويواجه اسرائيل، ويقول البعض: لقد سئمنا هذا الفساد، وتكفي خمس سنوات لم تحقق بها السلطة أي انجاز من خلال الاتصالات مع اسرائيل، بل ان الجمود التام يسود الوضع السياسي، وأنه منذ وفاة ياسر عرفات فلا يوجد «من يتعامل بجدية مع الفلسطينيين».

يعتقد الجميع إن حماس لا يمكنها الابقاء على مواقفها دون تعديل، بل لا بد لها من تعديل وتليين مواقفها لكي تتمكن من ادارة الحكم ولكي تدير اقتصادا وتدفع رواتب، وان علامات تشير الى ذلك قد بدأت تظهر. هناك من يقول: في اسرائيل يقولون إن الليكود وحده الذي يستطيع فعل ذلك (السلام) وهنا يقولون ايضا إن حماس تستطيع ذلك أيضا، بل ان البعض يعبر عن رأيه المتفائل بامكانية وقدرة حماس التوصل الى التسوية، وان جميع الذين اجريت معهم تلك اللقاءات والمقابلات عبروا عن اعتقادهم وقناعتهم بأن حماس ستوافق الان على «اعلان هدنة طويلة الامد» كي تتمكن من ادارة الحكم.

ومع ذلك، فقد كانت هناك آراء ليست قليلة ولا بسيطة في طرحها وتحليلها المناقض لذلك، وان بعض هؤلاء يرون بفوز حماس على أنه «كارثة». ويقولون: «ان ذلك ليس كارثة على الاسرائيليين، بل كارثة للفلسطينيين». فالوزير ـ السابق ـ غسان الخطيب يقول بهذا الصدد وكان وزير للتخطيط في حكومة السلطة الاخيرة والتي استقالت في اعقاب الانتخابات. فحسب رأيه ان فوز حماس كان سببه مواقف حكومة اسرائيل وتصلب شارون بصورة محددة التي أبقت حكومة «ابو مازن» دون أي انجاز، وان سلطة حماس ستكون سببا في ازدياد حالة التوتر الداخلي وستحدث انشقاقات في البنية الاجتماعية الحساسة في المجتمع الفلسطيني، وان امكانية سن قوانين اسلامية متشددة يمكنها اثارة حمية الشخصية الفلسطينية الاجتماعية في الضفة الغربية وقطاع غزة، ولكن الاهم من ذلك هو الضرر الكبير الذي سينم عن ذلك في العالم بخصوص القضية الفلسطينية.

الجمهور الفلسطيني وقيادته يعرفون ويؤمنون بأن التوصل الى تحقيق هدفهم ونيل حقهم ليس مرتبطا ـ أبدا ـ بالناحية العسكرية، فطوال عشرات السنين ليس للفلسطينيين، وكذلك للدول العربية أية احتمالات ممكنة لتوصلهم الى حسم النزاع مع اسرائيل بالقوة العسكرية، بل إنهم اصبحوا بعد ذلك ليسوا مستعدين لتجربة القوة العسكرية ضد اسرائيل لحل هذه القضية. وكذلك الحال بالنسبة لسلاح الارهاب، فانه ليس بذي فائدة وان هذا السلاح ليس مقبولا بالمرة وان العالم بأسره يشجب ذلك ولا يقبله، وان الميدان الوحيد لمعركة التوصل الى السلام والحل هو ميدان السياسة والتفاوض، وأن تفهما وتأييدا عالميا فقط، وبدعم واضح من اوروبا والولايات المتحدة على رأس هذا الموقف العالمي هو الذي سيحقق الفوز والسلام للفلسطينيين، وكما هو معروف فان تأييد ودعم هذه الدولة وتعاونها ودفع الاموال للسلطة هو ـ وحده ـ القادر على مساعدة الفلسطينيين ويسمح لهم بالبقاء والصمود.

لا بد من القول إن فوز حماس يضر بالعملية السياسية التي تقوم بها السلطة الفلسطينية، وان موقف ومكانة هذه السلطة سوف تتزعزع في أرجاء العالم، لان كثيرا من دول العالم ستشبههم بأفغانستان وايران، الامر الذي سيتسبب بمنع المساعدات المالية عنها. وعلى هذا الاساس، كان يمكن للانسان ان يشاهد حالة التململ والمراوحة بين حالات اليأس والأمل، وانه يمكن مشاهدة ذلك والاحساس به في أوساط الناس في الضفة الغربية وقطاع غزة، وان هذه الحالة تتطور شيئا فشيئا من يوم الخميس الماضي وحتى يوم أمس. وبالنسبة لهؤلاء، فان المستقبل هنا، ولا بد من الترقب ورصد ما سيحدث، فبعد ايام قليلة سيتم انعقاد الجلسة الاولى للمجلس الجديد، وبعد ذلك تبدأ محاولة تشكيل حكومة (جديدة)، والتعامل مع أوضاع قديمة ومستجدة من قبل حكومة لا خبرة لديها ولا تعرف كيف ستحلها، في نفس الوقت الذي ستنظر فيه كل عيون العالم لترى وتراقب كيف ستتمكن هذه الحكومة من حل هذه المشاكل والتعامل معها.

داني روبنشتاين
كاتب ومحلل
(هآرتس) 2006/1/30

الوقت أصبح متأخرا جدا الآن لعمل اي شيء

الاستخبارات الاسرائيلية ومعها الاستخبارات العالمية فشلت في توقع انتصار حماس الساحق

■ عشية الانتخابات في السلطة الفلسطينية، أعدت سيناريوهات لتغطية كل الاحتمالات القائمة: ماذا ستفعل حماس اذا حظيت بنسبة 10 في المئة من الاصوات؟ (ستجدد العمليات)، 20 في المئة (ستفاخر بالانجاز)، 30 في المئة (تعلن عن نصر كبير)، وذكروا حتى نسبة الـ40 في المئة وإن كانت غير واقعية كضمانة لتغطية انفسهم في اسوأ الاحوال. أما امكانية حصول حماس على 60 في المئة فلم تُطرح بتاتا.

الانتخابات جرت في يوم الاربعاء. وقد كنت قد قضيت اليوم في رام الله. مثلما كانت جغرافيا هي معقل لحزب العمل كان من المفترض أن تكون رام الله معقلا لفتح. الشريحة الأقوى والأكثر قدما في المدينة هم مسيحيون. الملابس، الأجواء، الحياة الليلية مفتوحة نسبيا وغربية وعلمانية. والأهم أن فيها نسبة عالية من الاشخاص الذين يعيشون من الحكم: قوات أمن وموظفين، وسياسيين ورجال اعمال على علاقة بهم. انتصار النظام القائم كان مسألة وجودية.

وبالرغم من ذلك، كانت شوارع رام الله مليئة بحماس. الانقلاب كان في الأجواء: في أحاديث سائقي السيارات العمومية وفي حنين بائع التوت في ميدان المنارة للحكم الاسرائيلي وفي الأجواء المتكدرة ومكاتب قادة الحزب الحاكم.

في ذلك المساء التقيت بضابط كبير في الجيش لاجراء محادثة خلفية لمقالتي: شخص ذكي وصاحب تجربة واسعة في القتال ضد الفلسطينيين. حدثته عما شاهدته. الضابط ابتسم عن وعي وقال «جماعتنا أعطوا فتح تفوقا بنسبة 7 في المئة».

في ذلك المساء ألقى اولمرت خطابه التتويجي في مؤتمر هرتسليا، وكانت عباراته مرتكزة على التقديرات التي وصلته من رؤساء الاجهزة الأمنية. «أنا لست موافقا على كل عمليات التخويف التي يسردونها علينا حول مدى الصعوبة التي ستكون هنا بعد الانتخابات الفلسطينية»، قال اولمرت. (الآن أصبح شريكا في هذه الآراء).

في شعبة الاستخبارات العسكرية «أمان»، يقدحون زناد عقولهم الآن حول مسألة كيفية حدوث الاخفاق الاستخباري ومن الذي يتحمل المسؤولية ولماذا. خسارة على وقتهم المهدور. الاستخبارات الاسرائيلية قادرة على احصاء الامور الصغيرة الملقاة تحت مكتب فتحاوي صغير في قلب مخيم بلاطة. هي قادرة على اقتباس ما همست به امرأة لزميلتها في الدكان في الخليل، وماذا قال أبو مازن لصائب عريقات في مصعد المقاطعة. قوته تكمن في هذه المسائل. أما التغيرات العميقة في الوضع القائم والسلوك السياسي والميول فهي كبيرة عليها. من يعتمد على الاستخبارات في تقدير نتائج الانتخابات مثله مثل من يراهن في اليانصيب معتمدا على محللي كرة القدم: هو لن يفوز بالجائزة الكبرى.

مؤيدون لحركة فتح يتظاهرون في بلدة حلحول

ليس على الجيش و«الشاباك» أن يجلدا أنفسهما بسبب نزعة المغامرة. الكلمتان الوحيدتان اللتان لم تُذكرا في المحادثات مع أصحاب الرأي والمشورة الاسرائيليين قبل الانتخابات كانتا: «لا أعرف». كانت لديهم فرضية متكاملة: الانتخابات ستتمخض عن اغلبية ضئيلة لفتح وشركائها. الصراع سيكون حول فرض القانون والنظام في مناطق السلطة ونزع سلاح الميليشيات. الانتخابات هي في نهاية المطاف محطة واشارة ضوئية على طريق الكفاح الهام فعلا.

كلهم تمسكوا بالفرضية وبحثوا عن القطعة النقدية تحت ضوء المصباح: الادارة الامريكية، المحللون الاعلاميون، الاستخبارات، صانعو السياسات في الحكومة وعلى رأسهم شارون. شارون قرر قبول الإملاء الامريكي وإفساح المجال أمام الانتخابات بما في ذلك انتخابات لحماس في شرقي القدس. هو لم يكن ليفعل ذلك لو اعتقد أن حماس ستنتصر.

اسرائيل تبذل جهودا كبيرة في المجال الاستخباري وأكثر من أي دولة اخرى في العالم نسبيا. هذه الجهود تتمخض عن نتائج مدهشة في كل ما يتعلق بصغائر الأمور والأحداث. أما في القضايا الكبرى ـ القضايا الوجودية مثل القنبلة الايرانية أو سيطرة حماس على فلسطين ـ فالاستخبارات تقف عاجزة لا حول لها ولا قوة. ليس لدينا من نعتمد عليه على ما يبدو باستثناء مشاعر وزرائنا الداخلية.

بعضهم، مثل اولمرت، ملزم باستخلاص العبر من هذه القضية وتوخي الحذر في تبنيه لتقديرات وآراء الاستخبارات. الحقائق نعم، أما التقديرات والفرضيات فلا. وهناك عبرة اخرى: عدم المسارعة في السخرية من «المثيرين للفزع»: ما يتنبأون به في الظلام يخرج الى الضوء احيانا.

ناحوم برنياع
محلل رئيس للصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/1/30

سياستها المبلبلة أفضت الى نتائج مُدمرة

اسرائيل عرفت أن حماس ستفوز.. وتسريح البرغوثي كان سيساعد حركة فتح

■ من يزعم أن اسرائيل لم تعرف ان حماس توشك أن تفوز في الانتخابات في السلطة الفلسطينية، لا يفهم ما يقول. في منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) تحدثت الى جهة أمنية رفيعة جدا، قدرت آنذاك، أن حماس ستحصل على 45 في المئة من الاصوات على الأقل، وأن الاحتمالات كبيرة أن تتولى السلطة.

الصحافيون الفلسطينيون، الذين يعرفون الساحة، رفضوا التقدير. والخلاصة: عرفت اسرائيل أفضل كثيرا من الفلسطينيين ما الذي يوشك أن يحدث في السلطة.

تحدث المسؤول الرفيع بتقدير حقيقي لحماس، عن قوتها التنظيمية، وعن الصبر، وعن الانضباط، وعن قرارها أن تقف الآن العمليات التفجيرية، لأن المزاج الفلسطيني يتحفظ منها. سمعت لديه عن أشواق قوية الى قائد فتحاوي على شاكلة رؤساء حماس ذوي التصميم. قال إن أبا مازن هو رجل ضعيف لا يستطيع أن يفرض طاعته حتى على قائد صغير. اتهم المسؤول الرفيع أبو مازن ايضا بالمسؤولية عن الانحلال التام لفتح، وهو اجراء حاسم يمهد الطريق لفوز حماس.

عرفت اسرائيل جيدا ما الذي يوشك أن يحدث، لكنها لم تعرف ما تفعل، وهذا هو الاخفاق. بينت الحكومة عن عجز تام بإزاء الأحداث التي بدت لها خطرة وحيال الجيران الجدد الذين انتقلوا للسكن قبالة بابنا.

في نهاية كانون الاول (ديسمبر) سمعت نائب وزير الدفاع، زئيف بويم، يقول في معهد فان ـ لير إن «رؤوس حراب الرئيس احمدي نجاد تنتقل للسكن في المقاطعة في رام الله»، وإنه «توجد لنا مشكلة للرقابة على المواد الذرية التي تخرج من ايران، وتأتي الى هنا بوساطة مبعوثين، وتنتقل الى المنظمات الارهابية التي تستعملها ايران عندنا».

كانت السياسة الاسرائيلية من الانتخابات ذات معنيين وذات ثلاثة اتجاهات، وهو ما يعني أنه لم تكن هناك أي سياسة. قال العقيد أودي ديكل، رئيس لواء التخطيط الاستراتيجي في هيئة الاركان العامة، في فان ـ لير، إن حماس اذا ما ترأست السلطة الفلسطينية فستمنح الارهاب المضاد لاسرائيل الشرعية المؤسسية. «في هذه الظروف يجب كف حماس»، قالوا لديكل. لا تخصيصا، قال ديكل، فربما اذا أصبحت حماس جسما سياسيا ستزداد اعتدالا وستجري عليها ضرورات سياسية، وعندها لن تقوم بالارهاب المباشر. ربما تقوم بارهاب غير مباشر فقط.

هل كان يجب على اسرائيل أن تتدخل في الانتخابات، وأن تشوش على النتائج المتوقعة، وأن تمنع خطر حماس؟ كانت الاجابة في القيادة الأمنية، كيف لا، أجل ولا. مصلحتنا المهمة، قالوا هناك، هي أن نمنح الفلسطينيين المسؤولية عن مصيرهم وعن تقرير مستقبلهم حتى اذا ما أقمنا حماس على رأسهم. «لا يجوز أن يقولوا اننا نشوش على ديمقراطيتهم»، قال وزير الأمن الداخلي، جدعون عزرا. «لا يجوز لنا أن نشوش. هذه هي قواعد اللعب التي يؤخذ بها هنا بعد الانفصال»، قال العقيد ديكل.

وربما كان يمكن من اجل منع فوز حماس مساعدة فتح على الانتعاش، وأن تولي رئاسة قائمتها مرشحا شعبيا عمليا من الجيل المتوسط، يقاتل قتالا حقا وربما يتولى السلطة. «في اليقين نعم»، قال نائب الوزير بويم. «هذا هو الاحتمال الوحيد لكبح جماح حماس». اذن لماذا لم نفعل ذلك؟ «لأننا آنذاك كان سيجب علينا أن نُسرح مروان البرغوثي، ونحن لا نستطيع فعل ذلك»، قال بالاجماع المسؤول الرفيع الأمني، والوزير عزرا، ونائب الوزير بويم والعقيد ديكل. باختصار، لم تكن هناك سياسة ولا تصورات، وإن تكن كانت فقد كانت مبلبلة متناقضة. في هذه الاثناء حماس في السلطة، واسرائيل مستمرة في لعبة الأدوار التخيلية.

شالوم يروشالمي
مراسل الشؤون الحزبية
(معاريف) 2006/1/30

الاتصال مع منظمة التحرير الفلسطينية اخذ مدة 25 سنة للوصول الى اوسلو

الاوضاع السائدة حاليا لا تتحمل الانتظار طويلا لقرار بدء التحادث والاتصال بين اسرائيل وحركة وحماس

■ غولدا مئير كانت ستقول حانقة «عليهم» وذلك على الأقل لانهم «ليسوا لطفاء»، ومن أجل التغيير فقط نقول انها قد تكون صادقة: فهم لا يعترفون بحق اسرائيل في الوجود والعيش كدولة، وذلك اعتمادا على القرآن، ويريدون تصفيتها عن طريق الارهاب. اضافة الى ذلك استنادهم على ما تقوله بروتوكولات حكماء صهيون. كذلك الحال بالنسبة لاسرائيلي يريد السلام، فليس مطلوبا منه أن لا يعترض عليهم: من الصعب عليك العيش مع اشخاص يؤمنون بأن الله يأمرهم بأن يقضوا عليك «لأن من يستند الى تلك البروتوكولات فانه سيء ومُعاد للسامية، وفي أحسن الاحوال هو غبي».

ولكن، لماذا نبتعد كثيرا، فقد سبق لغولدا مئير أن رفضت التحدث مع م.ت.ف، بل انها رفضت مجرد الاعتراف بحق وجود الشعب الفلسطيني، وهي، للأسف، لم تكن وحدها في هذا. ففي شهر تموز (يوليو) 1974، أي بعد وقت قصير من استقالتها، اقترح عدد من وزراء حكومة اسرائيل أن «تكون اسرائيل مستعدة للتحدث مع أي جهة فلسطينية تعترف بحق اسرائيل في الوجود» وبشرط أن تعترف هذه الجهة صراحة بدولة اسرائيل وأن تقبل قرار مجلس الأمن رقم 242 وأن تتوقف عن الكفاح المسلح.

وفي تاريخ الصراع العربي ـ الاسرائيلي (الفلسطيني ـ الاسرائيلي بصورة أدق)، فان هذا الاقتراح عُرف فيما بعد بـ «اقتراح ياريف شمطوف»، لكن حكومة اسحق رابين رفضت ذلك الاقتراح.

فيكتور شمطوف كان وزيرا للسياحة آنذاك، وكان محسوبا على حزب العمل الموحد «مباي»، وكذلك الحال بالنسبة للجنرال أهارون ياريف الذي كان ضابطا كبيرا في الجيش ثم تسلم منصب قائد جهاز الاستخبارات العسكرية في هيئة الاركان، وبعدها شغل مناصب وزارية في حكومات غولدا مئير ورابين، لكنهما كانا يبلوران مواقفهما بصورة منفردة.

مرات عديدة تحدث فيها اسرائيليون مع فلسطينيين وفي أكثر من مناسبة، إلا أن ذلك الاقتراح اعتُبر خطيرا وتنازليا. لكنهم عادوا وطرحوا ذلك الاقتراح من جديد لمناقشته في الحكومة الاسرائيلية عام 1977، لكن رابين قرر على الفور «تأجيل بحث الاقتراح لجلسة الاسبوع القادم»، وبذلك «قتل الاقتراح ودفنه». وعليه، فان فوز حركة حماس هذا الاسبوع يعطي طعما جديدا لمثل ذلك الاقتراح القديم، لا سيما وأن أحد أقطاب وأبطال ذلك الاقتراح الجريء (في حينه) ما زال على قيد الحياة (شمطوف)، ويحتفل هذه الايام بعيد ميلاده التسعين.

فور انتهاء حرب حزيران 1967 حاولت اسرائيل البدء في محادثة اولئك الاشخاص الذين كانوا يُعرفون باسم «الوجهاء» في المناطق المحتلة، بل إن اسحق رابين أيد في تلك الايام اقامة دولة فلسطينية، ولكن كلما زادت شهية الاسرائيليين في استيطان اليهود للمناطق، زاد تمسك الفلسطينيين والتفافهم حول القيادة الوطنية لـ م.ت.ف برئاسة ياسر عرفات، وزادت مواقفهم تصلبا ورفضوا الاعتراف بوجود اسرائيل وساروا بسرعة نحو عمليات اختطاف الطائرات. كذلك الحال بالنسبة لاسرائيل، فبدلا من التقدم في اتصالاتها مع من يمثلون الفلسطينيين حقا، سعت وراء العملاء الذين وافقوا بسرعة على «قبول الاحتلال الاسرائيلي»، وفضلت اسرائيل في ذلك الوقت أن تتحدث فقط مع الملك حسين.

من خلال نظرة سريعة الى الخلف فاننا نرى شيئا مثيرا وغير طبيعي في سراب ووهم تلك الايام الماضية، والتي كانت سببا في تجاهل اسرائيل لـ م.ت.ف طوال تلك السنين. ففي بعض الاحيان كانت «الأوامر تحظر» على أي اسرائيلي اجراء اتصالات معها، وكثيرون من نشطاء السلام الاسرائيليين تم اعتقالهم ومحاكمتهم وسجنهم لانهم خرقوا ذلك القرار الذي يحظر الاتصال بالمنظمة. لكن هؤلاء، وتلك الاتصالات هي التي كانت شيئا فشيئا تشق الطريق الى «اوسلو» وتُمهدها.

ومن خلال الاتصالات والمحادثات الفردية التي قام بها اسرائيليون مع المنظمة ومع ياسر عرفات أمثال يوري افنيري، لوبا اليف، ماتي بيلد، د. يعقوب ارنون، ايبي نتان ولطيف دوري، وغيرهم، فان هؤلاء ساهموا كثيرا في تعديل مواقف م.ت.ف وتليينها، على الأقل هذا ما أشار اليه شمطوف في مذكراته التي نشرها قبل سنوات.

وجّه اسحق رابين دعوة الى شمطوف لحضور حفل توزيع جوائز نوبل للسلام عام 1994، وقد حضر شمطوف ذلك الاحتفال وهو يتمتع بروح عالية وتاريخية، وجلس الى جانب رئيس هيئة الاركان الاسرائيلي الاسبق موردخاي غور. وهنا تساءل شمطوف قائلا «ألم يكن ممكنا التوصل الى سلام مع م.ت.ف قبل 25 سنة؟»، فأجابه رئيس هيئة الاركان غور بقوله: «25 سنة ربما كانت بعيدة، لكنني أيدت اجراء هذه الاتصالات مع م.ت.ف قبل 15 سنة، وقلت للجميع بأنه لا بد من التحدث مع م.ت.ف ومفاوضتها». هنا استغرب شمطوف كثيرا ورد بصوت خافت «15 سنة!».

تلك السنوات كانت خسارة وضائعة دون هدف وغاية، كما أن فوز حماس الآن ينهي العقد الأخير من التردد والماطلة والشعور بالخيبة. فالاحتلال لا يزال موجودا هناك. وياسر عرفات تمكن من سلب العالم مليارات الدولارات وانفاقها. وايهود باراك لم يمنع، بل ساهم، في تسريب آلاف المستوطنين الى المناطق المحتلة. وبعد ذلك جاءت الانتفاضة الثانية ومعها ارييل شارون الذي يؤمن (وحاول أن يجسد ذلك الايمان) بأنه يستطيع تحديد ورسم حدود دولة اسرائيل كما يريدها، دون أي اعتراف أو تفاوض مع أحد من الفلسطينيين. كل هذا، على ما يبدو، لا يزال يستنشق روح وأفكار غولدا مئير، بل انني لمست وشعرت بأن روح غولدا مئير تحوم فوق بيان حكومة اسرائيل الاول بهذا الخصوص الذي صدر رسميا قبل يومين والذي لخصته بعبارة «حكومة اسرائيل لن تتحدث مع حماس».

يوجد جيل من الاسرائيليين والفلسطينيين، على حد سواء، من الذين يستطيعون ويريدون النظر الى الخلف دون خوف أو تعقيد، بل انهم ينظرون الى الخلف بغضب، وخصوصا بسبب اضاعة ذلك الوقت دون نتيجة وبلا فائدة، وهؤلاء يستطيعون رفع صوتهم وأن يقولوا لقادتهم بوضوح: ليس لدينا رغبة، ولا وقت كي ننتظر 25 سنة اخرى حتى تعرف اسرائيل وتكتشف أنه يمكن التحادث ويمكن اكتشاف الطريق الذي بواسطته يتم صنع السلام، وأن ذلك لا يمكن التوصل اليه إلا عن طريق الاتصالات والتحادث.

توم سيغف
محلل في الصحيفة
(هآرتس) 2006/1/30

صعود حماس الى السلطة سيكون بداية جيدة لانتهاج اسرائيل سياسة مختلفة مع الفلسطينيين

■ بعد أن تنقضي التصريحات المهتاجة، ستكون لنا فرصة أن نسأل ما هي مصالح اسرائيل في الوضع الجديد الذي نشأ. ولما كانت لم تحدث لنا آي كارثة مع صعود حماس، وربما يكون العكس من ذلك، فقد نشأت لنا عدة فرص لا يُستخف بها.

كان الوضع السابق حيال الفلسطينيين سيئا على نحو خاص. في الوضع السابق كانت اسرائيل تستطيع ربما أن تحبط جزءا من العمليات التفجيرية، لا أكثر من ذلك. حيال سلطة فتح ضعيفة ومعارضة حماس قوية، لم تكن هناك محفزات فعالة ولا ردع فعال. المحفزات التي قوّت فتح، شجعت حماس على ان تنافسها بالعمليات التفجيرية، الهجمات على السلطة أضعفت كل احتمال لردع حماس. وكلما كان العنف والمسؤولية غير مركزين في مكان واحد، فانه لا يمكن تأمل نتائج متصلة من أي سياسة.

الآن نشأ احتمال وضع آخر. ربما تستطيع حماس أن تصنع ما لم تكن فتح تستطيع صنعه: أن تصبح السلطة الوحيدة على السلاح. لديها ايضا مصلحة كهذه، لأنه لا تستطيع أية سلطة أن تستقر اذا كانت من تحتها جيوش مستقلة. ينبغي أن نأمل أن محاولة انهيار سلطة فتح ما تزال جديدة في ذاكرة حماس. اذا ركزت حكومة حماس القوة، فان حماس ستُمسك بزناد الارهاب وبرسن السلطة في الوقت نفسه، سيكون في الامكان آنئذ أن تُصرّف حيالها سياسة فعالة، وأن تُجبى منها أثمان الاعمال العدوانية. اذا كانت المسؤولية عن العمل، والغذاء، والكهرباء، والصحة والمجاري، مطروحة على حماس، فسيحدث لها شيء لم يحدث الى الآن: سيكون لها الكثير مما تخسره. فستكتشف مثلا، أنها متعلقة ماليا بجباية الضرائب الاسرائيلية، وبأموال المساعدة الامريكية والاوروبية. لهذا يجب على اسرائيل، وعلى اوروبا والولايات المتحدة، الامتناع عن سد هذه الأنابيب، أو من كل محاولة لهدم السلطة الاصولية الجديدة. لا يجدر بنا أن نلوح بقائمة المنظمات الارهابية، وأن نسد طريق المساعدة الخارجية. يجدر بنا أن تبقى اليد على الأنبوب بمنزلة التهديد والإغراء. اذا ما سُدت الأنابيب وهُدمت نظم الادارة، فسيعود الهرج والمرج. لن يستطيع لبنان صغير أن يقدم حدودا هادئة.

ثانيا، كل الاقوال عن «اذا ما أعطوا فسيأخذون» من ناحية، وعن اتفاق جنيف من ناحية ثانية، فقدت كل قوة. هذا ايضا ليس شيئا سيئا. فقد جُررنا كثيرا من الوقت وراء اتفاقات مرحلية، وخرائط طرق، ووعود باطلة، وفي هذه الاثناء ما يزال الوضع الراهن قائما، وغرقنا أكثر فأكثر في وحل الاحتلال. يتبين أن التصور اليساري عن الاتفاق ليس له ما يقوم عليه. وكذلك لا يوجد للتصور اليميني عن استمرار الاحتلال ما يقوم عليه، إلا اذا أراد نتنياهو أن يضم «دولة حماس» وأن يأمل أنهم سيحبوننا بعد ذلك. غدا واضحا أكثر أننا سنضطر الى تحديد الحدود بأنفسنا، ومن الأفضل أن يكون الأمر مبكرا قدر الامكان.

وثالثا، تحسن وضعنا الدولي. فالاصولية الاسلامية لا تخيفنا وحدنا. هذه هي فرصة تعزيز الائتلاف المضاد للمشروع الذري الايراني، وهذه هي فرصة إكمال بناء جدار الفصل. الضغط الدولي لن يعوقنا في هذه القضية. سيزداد التأييد الدولي أكثر اذا ما رسمنا الحدود، وقضينا على الاحتلال. الاحتلال لم يُفسدنا فقط، بل عزلنا ايضا. حتى الآن كان يسهل (على الاوروبيين أساسا) أن يُرى الفلسطينيون الخاضعون للاحتلال كممثلي الحرية وحقوق الانسان. لقد بينت حماس أنها حركة تحرير من نوع مخالف تماما. لكن الجانب الآخر من القطعة النقدية هو أننا سنكف عن كوننا شعبا محتلا قامعا، سنجد أنفسنا آنذاك نتصل اتصالا سهلا بالعالم الديمقراطي، وسنخرج من منطقة الغسق الاستعماري. اذا ما ازداد توجه التباعد القطبي بين الاصولية الاسلامية والديمقراطية الغربية، فسنجد انفسنا موجودين في الجانب الأنجح من المتراس. اذن ربما يجدر بنا أن نكف عن الصياح والصراخ، وألا ندعو الى القطيعة للسلطة الجديدة وأن نعد على الملأ بألا نتكلم. توجد هنا عدة امتيازات لا يُستهان بها، ويجدر بنا أن نعرف كيف نستغلها.

غادي طؤوف
كاتب في الصحيفة
(معاريف) 2006/1/30